

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين
نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال الله تعالى: فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (29) (سورة النجم)

شرح الكلمات:

فأعرض عن من تولى عن ذكرنا: أي القرآن وعبادتنا.

ولم يرد إلا الحياة الدنيا: ولم يرد من قوله ولا عمله إلا ما يحقق رغائبه من الدنيا.

المعنى الاجمالي :

قال تعالى: لما كان هذا دأب هؤلاء المذكورين أنهم لا غرض لهم في اتباع الحق، وإنما غرضهم ومقصودهم، ما تهواه نفوسهم، أمر الله رسوله بالإعراض عن من تولى عن ذكره، الذي هو الذكر الحكيم، والقرآن العظيم، والنبأ الكريم، فأعرض عن العلوم النافعة، ولم يرد إلا الحياة الدنيا، فهذا منتهى إرادته، ومن المعلوم أن العبد لا يعمل إلا للشيء الذي يريده،

فسعيهم مقصور على الدنيا ولذاتها وشهواتها، كيف حصلت حصولها، وبأي طريق سنحت ابتدروها، {ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ} أي: هذا منتهى علمهم وغايتهم، وأما المؤمنون بالآخرة، المصدقون بها، أولو الأبواب والعقول.

إن الظن لا يغني من الحق شيئاً وبناء على هذا أمر تعالى رسوله أن يعرض عن من تولى منهم عن الحق بعد معرفته وعن الهدى بعد مشاهدته فقال تعالى {فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا}

أي القرآن والإيمان والتوحيد والطاعة، ولم يرد بقوله وعمله واعتقاده إلا الحياة الدنيا إذ هو لا يؤمن بالآخرة فلذا هو قد كيف حياته بحسب الدنيا فكل تفكيره في الدنيا، وكل عمله لها فيصبح بذلك أشبه بالآلة منه بالحيوان. وتصبح الحياة معه عميقة الفائدة فلذا يجب الإعراض عنه وتركه إلى أن يأذن الله فيه بشيء.

والمراد به هنا: ترك هؤلاء المشركين، وعدم الحرص على إيمانهم، بعد أن وصلتهم دعوة الحق ... أي: إذا كان الأمر كما ذكرنا لك- أيها الرسول الكريم- من أن هؤلاء المشركين، ما يتبعون في عقائدهم إلا الظن الباطل، وإلا ما تشتهيه أنفسهم.. فاترك مجادلتهم ولا تهتم بهم، بعد أن بلغتهم رسالة ربك ... فإنهم قوم قد أصروا على عنادهم. وعلى الإدبار عن وحينا وقرآنا الذي أنزلناه إليك، ولم يريدوا من حياتهم إلا التشيع من زينة الحياة الدنيا، ومن شهواتها ومتعتها.. ومن كان كذلك فلن تستطيع أن تهديه، لأنه آثر الغي على الرشد، والضلالة على الهداية.

والخلاصة- لا تبالغ في الحرص على هدى من تولى عن ذكرنا وتهتمك في أمور الدنيا، وجعلها منتهى همته، وأقصى أمنيته، وقصارى سعيه، فلا سبيل إلى إيمان مثله، فلا تبخع نفسك على مثله أسفا وحزنا كما قال: «لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» .

عواقب الاعراض عن ذكر الله:

- 1- جعل الأَكْبَةِ على القلوب، والوَقْرُ في الآذان عن سماع الحق والتفقه فيه
- 2- أنه نفى الاهتداء عنهم؛ لعلهم بشقاوتهم.
- 3- انتقام الله منهم.
- 4- ضنك المعيشة في الحياة مادياً ومعنوياً.
- 5- تشبيههم بالبهائم المتوحشة المنزعجة من الرماة.
- 6- توقُّع العقوبة العاجلة من صيحة أو صاعقة أو ريح أو غيرها
- 7- أن الله يسلك صاحبه عذاباً صَعْدًا؛ أي: شديداً بليغاً
- 8- تقييد قراء السوء من الشياطين للمُعْرِضِينَ عن ذِكْرِ الله؛ ليصُدُّوهم عن الطريق المستقيم، وعن السبيل القويم.
- 9- الإعراض عن الله تعالى وعن شريعته سبب لنزول العذاب في الدنيا، ورفع العافية، وإبدال النعم نقماً.

طلب الدنيا والإعراض عن الآخرة بوابة الفتن العظمى .:

الأصل في هذه الأمة أنها أمة آخرة ، صلاح الدنيا في حقها إنما يكون نتيجة لصلاح الآخرة في قلوبهم وسلوكهم ؛ أي صلاح الدنيا مترتب على صلاح الآخرة في فكر الأمة وسلوكها ، فإذا ابتليت الأمة بمن لا يهتم إلا بصلاح الدنيا ولو كان ذلك على حساب خراب الآخرة ، ويسوق صلاح الدنيا على أنه هو عين صلاح الآخرة ، فهذه هي الطامة الكبرى والفتنة العظمى.

فتنة الدنيا

منشأ فتنة الدنيا غفلة الأمة أو أفراد منها عن عظمة الآخرة ، فلا يرى المسلم أمام عينيه إلا تنافس الناس على حطام الدنيا ، فإن دخل في مضمارهم أصابته لوثتها فأعمت قلبه عن الآخرة وركن إليها ، والركون إليها معناه حرمان المسلم من أخص خصائص إيمانه ، فيصبح صورة بلا معنى ، فلا يطلب بأعماله حتى الدينية منها إلا حطام الدنيا وزينتها ؛ ويكون بذلك قد خرج من مضمار الآخرة وأهلها من حيث لا يدرك ، وكيف يدرك من غرته الدنيا وزين له الشيطان حطامها ، و جعل ثمرات دينه آماني يتمناها دون أن ينالها فيكون ممن قال عنه الله تعالى: (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً . الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)

سبل النجاة من الفتن:

- 1- الاعتصام بالله.
- 2- التمسك بكتاب الله وسنة رسوله.
- 3- الالتفاف حول العلماء الربانيين والمصلحين الصادقين العاملين.
- 4- الصبر والثبات على الحق.
- 5- التعوذ بالله من الفتن والبعد عن مواطنها.
- 6- الثقة بنصر الله وفرجه.

للوقوع في الفتن أسباب منها:

أولاً: الجهل. ثانياً: الغفلة. ثالثاً: اتباع الشهوات والشبهات. رابعاً: تغيب الشرع.

فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (388)



هذا هو الحق



قوانين من تفسير سورة النجم الآية 29

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أعدّها عزمي إبراهيم عزيز

10- إن الواجب على المسلم أن يحافظ على دينه وعقيدته وإسلامه من الوقوع في الشرك، فالفتن متعددة، ومن الفتن ما يقع في الشرك، ومنها أيضاً ما يقع في الشبهات، ومنها ما يقع في الشهوات، فهذه الفتن التي تعرض للمسلم لا بد له أن يعتصم بالله منها، وإن يلوذ إلى الله منها، وأن يعلم الطريق المخرج منها.

11- نهي الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن التطلع إلى الدنيا وفشتها، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: 28]

12- بين تعالى أن ما يعطيه الكفار من نعم الدنيا، إنما ذلك لهُوان الدنيا عنده وحقارتها، وابتلاء لهم وفستة، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: 55].

13- الفتنة هي الأمور والأحداث التي تحرف المسلم عن الطريق المستقيم وتزين له الباطل فيعتقد أنه الحق.

14- أن التوسع في الدنيا، والخروج بها من دائرة الحاجات إلى دائرة الترف والشهوات سبب أكيد للهلاك.

15- الشر الحقيقي هو في إقبال الدنيا عليه وتزينها وفستها له، أما إعراضها عنه ففي الغالب أنه باب من أبواب العناية الإلهية بهذا المؤمن، وقد يكون في قدر الله سبحانه وتعالى أنه إذا فتحت عليه أبواب الدنيا فتن.

16- إعراض الدنيا عن البعض إنما هو وسيلة حمية علاجية لبعض القلوب من باب الخبة الإلهية لهم؛ لأنهم محط نظر الله وعنايته.

17- قد يكون الإنسان من أهل الإعراض عن الله تعالى وهو لا يشعر بذلك؛ وذلك بأن يعرض عن شيء من الشريعة يخالف هواه، ويجادل فيه بالباطل ليدحض الحق، فيعاقب على ذلك بفساد قلبه، وارتكاسه في الإثم.

18- قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "وَمَنْ أَعْظَمَ أَسْبَابَ ضَيْقِ الصَّدْرِ الْإِعْرَاضُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِغَيْرِهِ، وَالْفَقْلَةُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَحَبَّةُ سِوَاهُ؛ فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا غَيْرَ اللَّهِ عَذَّبَ بِهِ، وَسَجَنَ قَلْبُهُ فِي حَبَّةِ ذَلِكَ الْغَيْرِ، فَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقُّ مِنْهُ، وَلَا أَكْسَفُ بَالًا، وَلَا أَنْكَدُ عَيْشًا، وَلَا أُنْعَبُ قَلْبًا.

والله اعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفوائد:

- 1- أكثر الأمراض مردها إلى قلب لا يؤمن بالآخرة.
- 2- إنذار شديد للعصاة المعرضين عن العمل بكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، المؤثرين لهوى النفس وحظوظ الدنيا على الآخرة.
- 3- أنهم قوم أعرضوا عن الوحي، ولم يريدوا سوى متاع دنياهم، وأما ما يتعلق بالآخرة فهم في غفلة عنه.
- 4- إن من أشد الخذلان، وأفدح الخسران: الإعراض عن الله تعالى، وذلك بالإعراض عن دينه، أو الإعراض عن كتابه، أو الإعراض عن ذكره وعبادته.
- 5- قدر إعراض العبد عن الله تعالى تكون خسارته وشقوته؛ فأهل الكفر والنفاق هم أهل الإعراض الكامل، فكان لهم الخسران المبين، والشقاء الأبدى في الدنيا والآخرة. وفي عصاة المؤمنين من الإعراض عن الله تعالى بقدر معاصيهم.
- 6- إن الإعراض عن الله تعالى سبب للعقوبات العاجلة والآجلة، وبه تزيغ القلوب، وتطمس البصائر، فتعمى عن الحق، وترتكس في الإثم، فيضيق الصدر، وتسود الدنيا عند المعرضين، قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: "رأيت سبب الهموم والغموم الإعراض عن الله عز وجل، والإقبال على الدنيا".
- 7- الإعراض عن أهل الإعراض من الكفار والمنافقين هو العلاج الأنجع لحماية المؤمنين من فتنة الإعراض عن دين الله تعالى، وفتنة الاعتراض على حكمه وشرعه.
- 8- من تولى عن ذكر الله تعالى، وجب الإعراض عنه بنص الكتاب؛ وذلك أن مهمة الداعية هي البلاغ لا الهداية، فمن تولى عن سماع البلاغ أو قبوله فلا حيلة فيه، ومثل هذه الآية قول الله تعالى ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: 48]
- 9- إذا خاض المعرضون عن الله تعالى في شريعته الغراء بالسخرية منها، أو من أحكامها، أو حملتها ودعائها، أو حاولوا تأويلها أو تبديلها أو ردها؛ وجب على أهل الإيمان الإعراض عنهم، ومجانبة مجالسهم.